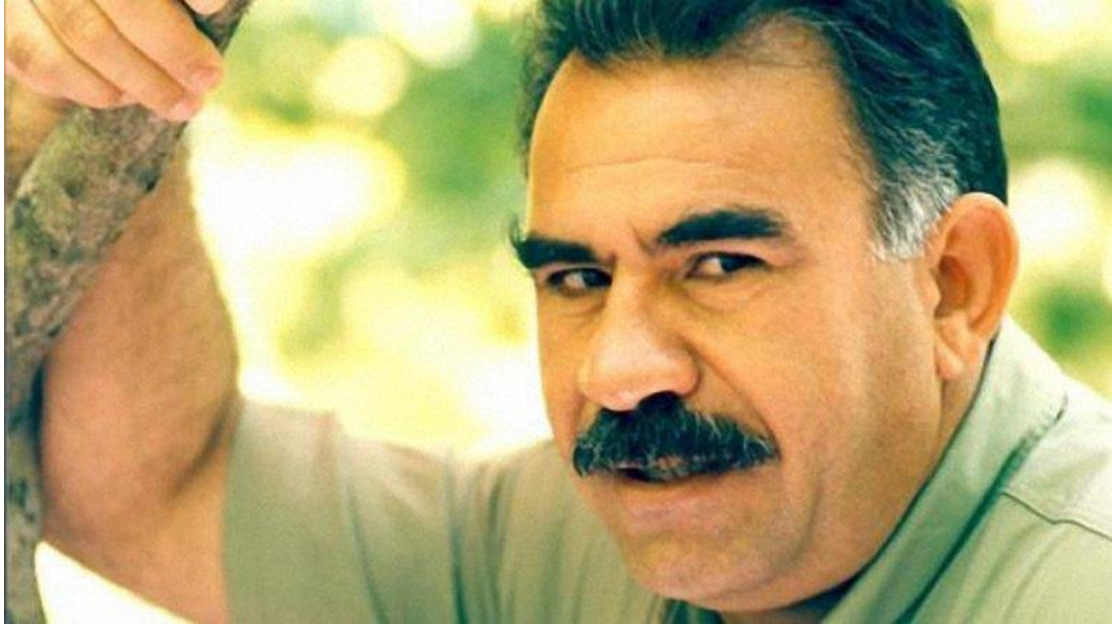


## قراءة أوجالان من منظور امرأة جنوب آسيوية

رادها ديسوزا

ترجمة: مركز الفرات للدراسات



بينما أكتبُ هذه المقدمة (١)، لا أستطيع التعبير عما سيكون عليه شعوري بتناول كتب أوجالان، فيما لو أمكن الجلوس معه وجهاً لوجه ومناقشة القضايا التي يثيرها أوجالان في هذا المجلد "المجلد الثاني (المدنية الرأسمالية) من سلسلة مانيفستو الحضارة الديمقراطية"، مع كوب من الشاي كما هو معتاد في الأوساط الاجتماعية الشرقية. نأمل أن يتم إطلاق سراح أوجالان، حيث سيكون من الممكن سماعه يتناول كتابه بشكل مباشر. كتب أوجالان هذا الكتاب على شكل "مذكرة دفاع" مُقدّمة إلى المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان في عام ٢٠٠٨. يعتبر مثول أوجالان أمام المحكمة - الفرصة الوحيدة المتاحة له في مشاطرة أفكاره مع بقية العالم - شهادة على الحالة الراهنة للعالم الذي نعيش فيه؛ حيث تحتجز فيه "الديمقراطية" الحريات، وتتحول أفكار رجل واحد إلى "تهديد أمني" للدول التي تمتلك مخزونات أكثر أسلحة العالم فتكاً على الإطلاق. لكن على نحو غريب، وفي خضم الرؤى البائسة والتناثر الفكري الذي يغلف العالم اليوم، فإن ما يبعث على الطمأنينة هو أنّ القول المأثور " حد القلم أمضى من حد السيف" لا يزال صالحاً.

ليس بإمكاننا قراءة كتاب أوجالان إلا كامرأة جنوب آسيوية. يعج هذا الكتاب بالمصطلحات والمفاهيم والمراجع التاريخية والأحداث وأنماط التفكير والرموز والمقارنات وغير ذلك الكثير مما يرتبط بمناخ المعاني المشتركة بين الثقافات. فمن الناحية الجغرافية والثقافية، يقع الشرق الأوسط بين الشرق والغرب. فكل من جنوب آسيا والشرق الأوسط روابط تاريخية وثقافية وفكرية وسياسية وثيقة والتي تعود إلى أولى حضارات وادي نهر الفرات ودجلة (ميزوبوتاميا)، ونهر النيل (مصر)، ونهر إندوس - السند (الهند). لا شيء أفضل من اللغة الأردية في تفسير تقارب هذه الحضارات، حيث تعتبر اللغة الأردية تجسيدا لالتقاء الحضارات في الشرق الأوسط، وإيران، والهند، هذه اللغة المولودة من التواصل بين العرب والفرس والأتراك والهنود. حيث حدثت مناظرات سياسية وفلسفية عظيمة وتبادلات ثقافية من العصور القديمة، بين المفكرين من الشرق الأوسط، وبلاد فارس، وجنوب آسيا قبل الاستعمار الأوروبي لأراضينا، وشعوبنا، وعقولنا. حدث التقاء بين الفكر اليوناني والهندي على ضفاف نهر دجلة، في ظل الخلافة العباسية في القرنين الثامن والتاسع الميلادي. ونتج عن التقاء الفكر الغربي والشرقي، ازدهار الفلسفة، والشعر والعلوم والموسيقى في مراكز بغداد، والكوفة، وسنجار (شنكال). واليوم، فإن هذه المواقع اجتاحتها الدمار، وحلت بها مأساة إنسانية غير مسبوقة. تحمل أسماء تلك الأماكن معاني مثيرة للجدل، تلك الأسماء التي توارثها أطفال جنوب آسيا من خلال القصص والحكايات الشعبية، مثل: غرائب نصر الدين خوجا (ججا)، أو قصة جلال الدين الرومي عن الببغاء والتاجر في رحلة إلى بلاد الهند، والتي تملأ عناصر اللاوعي داخل تصوراتنا الجيوسياسية المعاصرة للأحداث في المنطقة. قد تكون الكوفة، وسنجار (شنكال) مجرد أسماء أمكنة يسمعون عنها من مقتطفات الأخبار في قنوات التلفاز، بالنسبة للعديد من الشباب الأوروبيين والأمريكيين الشماليين. وتحمل هذه الأماكن، أصداء تاريخية بالنسبة لشعوب جنوب آسيا. وعندما قرأت الكتاب، تساءلت عما إذا كان القراء من الأصول الأوروبية-الأميركية والقراء من الشرق الأوسط وآسيا، سيخلصون إلى تصورات مختلفة تماماً من كتاب أوجالان.

اليوم، فإن التبادلات الثقافية التي أغنت ماضيها في الشرق الأوسط وجنوب آسيا، تم إيداعها في مزبلة التاريخ، هذا وإن حدث، فيتم ذكرها عبر الدوائر الحصرية المكونة من الخبراء الأكاديميين المخفيين في السرايب الإسمنتية للجامعات المعزولة. إن أوجالان مجبر على الكتابة، مثلي، عن تاريخنا وثقافتنا وآلامنا ومعاناتنا كأهم وشعوب، ليخاطب شعوب الشرق الأوسط أو جنوب آسيا من خلال المفردات المفاهيمية لبوكتشين، وبروديل، وفوكو، وهيجل،

وماركس، وفيرر. وإذا أشرتُ إلى نتاج الشاه ولي الله (١٧٦٢-١٧٠٣) عن صعود وانحدار الإمبراطوريات أو نظرياته عن الدولة، فمن سيفهم ذلك؟ ورغم ذلك، سيتعرف العديد من المتعلمين في الهند، وتركيا، والشرق الأوسط، على معاصري الشاه ولي الله، الأوروبيين، أمثال البارون مونتسكيو، أو جيا باتيستا فيكو، أو إدوارد جيبون، الذين كتبوا أيضاً عن صعود وانحدار الإمبراطوريات ونظريات الدولة الحديثة. فكم من الناس في الشرق الأوسط يعرفون عن نضال الحرية في الهند، أو العكس؟ ومع ذلك سيعرف أطفال المدارس في كلتا المنطقتين عن الثورات الأميركية، والروسية، والفرنسية. يحكمنا هؤلاء الذين يسيطرون على عقولنا؛ هؤلاء الذين يتحكمون بما نعرفه، وكيف نعرفه، ولأي مدى نعرفه. إن ما يشغل أوجالان في هذا الكتاب هو "ذهنية" السلطة الرأسمالية المدمرة، التي تستعبدنا طواعية. إنها "الذهنية" التي تجعلنا متواطئين في تدمير المجتمع. ما يشغل أوجالان، هو إيجاد سبل من أجل إعادة تأسيس "البنى الذهنية"، اللازمة لوضع الحياة الاجتماعية في مركز اهتمامنا الفكري.

ينقسم الكتاب إلى ستة أقسام، حيث يبدأ أوجالان الفصل الأول بمساءلة "الذات". وأنا أجد ذلك استثنائياً، لأنه تقليد له جذور عميقة في الشرق. يبدأ المرء بأي سعي جليل عن طريق الاستبطان (التأمل)، في التقاليد الشرقية: من أنا، ولماذا أفعل هذا؟ الاستبطان هو الذي يوجه مؤلف ما نحو الحجج المتتالية. أوجالان يحدد موقعه في "المدى الطويل" لتاريخ الشرق الأوسط وتلاقيها مع الرأسمالية. وفي الفصل السادس ينتهي به الأمر بمحاولة "تجاوز ثنائية الذات والموضوع من دون إنكارها". كما أن جهوده الرامية إلى تجاوز ذلك يعتبر أمراً استثنائياً بالنسبة لامرأة جنوب آسيوية أيضاً. إن التوجه الفلسفي الأساسي الذي يسعى إلى "تجاوز ثنائية الذات والموضوع" هي مقارنة لا ثنائية. إن اللاتنائية هي التوجه الفلسفي السائد في الفكر الشرقي، في حين أن الثنائية هي التوجه الفلسفي السائد في الفكر الغربي منذ عهد أفلاطون. والموضوع الذي يتم تناوله في الكتاب هو العلاقات العدائية والمتضادة فيما بين الدول والمجتمعات. ولكن، حلول أوجالان، على أية حال، ليست عدائية ولا ثنائية. بلا ريب، أن اللاتنائية عند أوجالان لها جذور أعمق مما تبدو عليه في الظاهر.

يدعو أوجالان في الخاتمة إلى وضع "الكونفدرالية الديمقراطية العالمية"، والكونفدراليات الديمقراطية الإقليمية لآسيا وأفريقيا وأوروبا وأستراليا على رأس أجندة التغيير السياسي. وقد دهشتُ بهذه الدعوة. كانت حركة الغادار (حركة الاستقلال الهندية)، قد قامت بنفس الدعوة تماماً؛ وهي واحدة من أقدم وأكثر الحركات الثورية المناهضة للاستعمار في جنوب آسيا قبل

مائة عام. قام عبيد الله السندي؛ وهو عالم ، ومناضل ثوري من أجل الحرية وقائد حزب الغادار، بصياغة دستور لمستقبل الهند الحرة سنة ١٩٢٢. وفي مسودة الدستور تلك، دعا إلى شكل كونفدرالي للحكومة. يعارض مشروع السندي حول مسودة دستور بلاد الهند الحرة؛ قيام دولة قومية موحدة، وطالب، بدلاً من ذلك، القوميات المتعددة في الهند بتشكيل حكومة ديمقراطية تقوم على المساواة تجتمع تحت كونفدرالية (الأقوام) وتنتمي لبلاد الهند كوطن لهم. بالإضافة إلى دعوة الدستور إلى اتحاد كونفدرالي بين الجمهوريات الآسيوية والأفريقية المعارضة للرأسمالية والإمبريالية. وجدت بأن صدى الأفكار في حركة الغادار قبل مائة سنة، وفكر أوجالان اليوم، شيء مذهل للغاية.

في أربعة فصول قصيرة، يلخص أوجالان تواريخ الحضارات الإنسانية، من المجتمعات اللا دولتية التشاركية البدائية إلى السومرية، والبابلية، والمصرية، والهندية، والصينية، والفينيقية، والميدية، والفارسية، واليونانية، والرومانية، والإسلامية، والمسيحية، والحضارات الحديثة. الصيغة المشتركة بالنسبة لهذه الحضارات - كونها متعارضة مع المجتمعات البدائية - هي صعود الدولة باعتبارها جهازاً قمعياً يعمل على تمركز السلطة واحتكار الثروة. ويرى أوجالان أن الدولة هي حجر الرchy حول أعناق الناس، والتي تحدّ من قدرتهم على العيش كبشر.

لقد دأبت الدول على قمع الشعوب، ولكن الدولة الرأسمالية هي الدولة الأكثر قمعاً من بينها. إذ تدمر الدولة الرأسمالية المقومات اللازمة لوجود المجتمع. وقد قام العلم والتكنولوجيا بالمساعدة والتحرير على تركيز السلطة على حياة الناس ومصير الإنسانية بشكل غير مسبوق. وقد تمرد الناس على الدوام ضد ظلم الدولة. فتواريخ ثوراتهم تحمل أسرار المعرفة البناءة اللازمة لإعادة بناء المجتمع، وإمكانيات الأنماط المختلفة للوجود في العالم، ولذلك فإن "المقاومة، والتمرد، وبناء المؤسسات الجديدة لابد وأن تتحول إلى أسلوب للحياة".

سمى الغرب تقاليد الفيلسوف-الشاعر في الشرق بـ "التصوف" بشكل خاطئ، تلك التقاليد التي كانت تتادي على مرّ العصور بأنّ المقاومة والتمرد وبناء الجديد، يجب أن تبقى "روح الإنسانية" على الدوام.

وكما يقول جلال الدين الرومي، الشاعر والفيلسوف الفارسي، في نصه المعروف المثنوي:

قم، وانفخ في هذا الصور المهول، حتى ينبعث الآلاف من الموتى من القبور.

وما دمت إسرائيل الوقت، فانهض واقفأ، وأقم القيامة من قبل أن تقوم القيامة.

وكل من يقول أين القيامة أيها المحبوب، أبدأ نفسك له قائلاً: ها أنا القيامة.

وأنظر أيها السائل الممتحن، فقد نمت (على الكون) مائة عوالم من هذه القيامة. [1478-IV:

[1481

فدعوة الرومي لـ" للنفخ في الصور المهول" هي دعوة للتحرك والنضال، وعبء يجب حمله.

بيد أن المقاومة والتمرد يجب أن يتم توجيههما دائماً نحو توطيد المجتمعات والحياة التشاركية. لا جدوى من السعي إلى السلطة، حين ندرك أنها مُفسدة. لا جدوى من محاولة الاستيلاء على سلطة الدولة، حين ندرك أنها تتحول دوماً إلى كيان قمعي في نهاية المطاف. ومع ذلك، فإن علينا واجب النضال عندما تدمر السلطات الظروف الضرورية للحياة. ولا بد أن يصاحب التمرد واجب إعادة بناء ظروف الحياة والذي لا يقل أهمية عنها. لن يتسنى إعادة بناء الظروف للحياة البشرية إلا من خلال أنظمة اجتماعية تشاركية. كانت هذه هي الرسالة الدائمة للفلاسفة-الشعراء في الشرق لقرون عديدة. يستحضر كتاب أوجالان وجهة النظر هذه.

تكمن مخاوف أوجالان في أن إنكار الحياة الاجتماعية " قد جعلت الحياة بلا معنى وأدى الى انحلال المجتمع وتفككه". ويقارن أوجالان بين نظامين اجتماعيين متوازيين عاشا على الدوام بشكل متداخل، ويطلق عليهما وصف "المدنية الدولية" في مواجهة "الحضارة الديمقراطية". ومن الممكن أن يتعايش كلا "النسقين" إذا اعترف واحترم كل منهما هوية الآخر. بوصفي امرأة جنوب آسيوية تقرأ الكتاب، فإن تناول أوجالان للسلطة مليء بمقاربة تتسجم مع التقاليد الصوفية البهاكتية والسيخ والبوذية. فذكرني ذلك ببيت للشاه نظام الدين أوليا (يعود تاريخه إلى ١٣٢٥ ميلادي):

أنت لست رفيق دربي

امض في سبيلك

قد تكون ثرياً

وأنا مضطهداً

ويقول أوجالان في محاكاة لتقاليد الفيلسوف-الشاعر الشرقي: " إن الانتصارات العسكرية لا يمكن أن تجلب الحرية، وإنما تجلب العبودية". إن رفض السلطة الدنيوية والثروة يدعو إلى نوع مختلف من السلطة (القدرة على الصمود) والثروة (الروابط الإنسانية) لإدراك المعاني العالمية

للحياة والمصير الإنساني. فمصدر هذا النوع الأخير من السلطة والثروة لا يمكن العثور عليه إلا في المجتمعات البشرية. إن الرأسمالية تلوث منابع هذا النوع من السلطة والثروة، التي حافظت على المجتمعات على مر التاريخ.

## الطبقة والمجتمع

إن نقطة الانطلاق بالنسبة لماركس، هي قيامه بالتحقيقات في عالم الرأسمالية، بعد ظهور إنتاج السلع والتي كانت بمثابة النمط العام للإنتاج الاجتماعي. إن إنتاج السلع بقيادة التجار الأوروبيين ونخب سكان الريف المشردين، خلق طبقة عاملة؛ غارقة في الفقر وبؤس التمدن وقمع الدولة للفقراء وتفكك النظام الاجتماعي. وقام ماركس بالرجوع إلى التاريخ الاجتماعي الأوروبي للتوصل إلى الأجوبة، عندما كان منفيًا سياسيًا من قبل دولة بروسيا واستنتج من التاريخ الأوروبي بأن الطبقات والنضال الطبقي هما المحركان الرئيسيان للتاريخ والدولة كما وصفها ماركس بـ "اللجنة التنفيذية للبرجوازية". فنقطة الانطلاق بالنسبة لأوجالان هي تشرد وعدم تجانس المجتمعات المتناسكة والمشكلة تاريخياً، وخاصة المجتمعات الريفية، المتفرقة عن أوطانهم، وهويتهم وثقافتهم وتاريخهم من قبل الإمبراطوريات الغربية والشرقية. كما أن أوجالان يرجع أيضاً إلى التاريخ للحصول على الإجابات، ولكن بالنسبة لأوجالان فإن التاريخ أكبر من تاريخ الإمبراطوريات والاستعمار والإمبريالية. إن تاريخ مؤسسة الدولة متشابك بعمق مع صعود الإمبراطوريات، فالمجتمعات موجودة قبل الدول. في الحقيقة، فإن كدحها وثرواتها أطالت عمر الدول والإمبراطوريات في الحضارات المختلفة عبر التاريخ.

إن انطلاقة أوجالان هي قيام الماركسيين المعاصرين بتحويل "المسألة القومية" إلى إشكالية، السؤال الذي برز في خطاب الثورة الروسية بعد عهد ماركس، و التي جوبهت بغزو خارجي من قبل القوى العظمى (بريطانيا العظمى، وفرنسا، والنمسا) وتمردات داخلية ضمن المستعمرات الروسية؛ فحلول الثورة الروسية حول مسألة الاستعمار تختلف عما كانت عليه في الإمبراطورية العثمانية، والتي تمت مجابتهها أيضاً بغزو خارجي من قبل بريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا وتمردات من داخل مستعمراتها. عرضت الدولة الروسية الثورية على مستعمراتها "صفقة جديدة" وهي رفض المعاهدات غير المتكافئة مع روسيا القيصرية، وأساساً دستورياً جديداً لتحالفات متجددة للمستعمرات بالنسبة للدولة الروسية. بشكل مغاير، قد تم تقطيع أوصال

المستعمرات العثمانية الأوروبية، والشرق أوسطية، وتم إلحاقها بالقوى العظمى بشكل قسري. في النهاية، قام كلاهما بقمع المجتمعات الريفية والصناعية المدنية المزدهرة.

لقد حوّلت الحروب العالمية المشكلة الاستعمارية إلى مشكلة الهوية الثقافية، ووضعت "مسألة القومية" على أجندة السياسة العالمية. شغل الاضطهاد والصراعات القومية الدولة القومية المصطنعة خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. وتعتبر القضية الكردية واحدة من هذه الصراعات التي يعود تاريخها إلى الحرب العالمية الأولى. وتم التلاعب بهذه الصراعات من قبل القوى العظمى مراراً، وتقويتها وتعزيزها من قبل رؤوس الأموال. وتتم محاربة النضالات القومية المطالبة بإقامة دولة قومية مستقلة. يسلك أوجالان نهجاً جديداً فيما يتعلق بـ "المسألة القومية" القديمة. فيجادل بهذا الصدد بأن التاريخ المعاصر يظهر بأن التسابق في المطالبة ببناء دولة قومية جلب الدمار للمجتمعات ذاتها التي انطلقت الصراعات باسمها. نقطة انطلاقه هي ما بعد فترة الحرب العالمية الثانية، عندما بلغت الرأسمالية العالمية "ذروتها" في "السهول الخصبة لميزوبوتاميا"، والتي هي موطن أقدم حضارات ما بين النهرين بالنسبة لأوجالان أيضاً.

كانت القومية مرتبطة مع الدولة القومية الحديثة في أوروبا، وكذلك الدولة القومية المصطنعة. ففي المستعمرات؛ لم تكن القومية مرتبطة بالدولة القومية الحديثة قط، بل تم صياغتها عبر الحروب الاستعمارية والمنافسات الإمبريالية بدلاً من ذلك. فمن جهة تتحو الأيديولوجيات السياسية الحديثة بما فيها؛ الليبرالية، والماركسية، والاشتراكية، والأناركية إلى خطط القومية مع النزعة العرقية الأصولية أو التعصب الديني، ومع الدولة القومية من جهة أخرى. وكنقطة انطلاق لفهم الرأسمالية، فإن الجماعات والمجتمع وضعت أوجالان على مسار مختلف من التساؤل. بالنسبة لأوجالان، فإن محرك التاريخ هو الصراع بين الدولة القومية التي تركز على السلطة الاقتصادية والسياسية، وبين نضال المجتمعات للبقاء. حيث تستخرج هذه الصيغة "المسألة القومية" من الأصولية في مواجهة الصياغات المنادية بالدولة وتضعها على أسس تاريخية متجددة. فالصراع مشترك بين المجتمعات والدول بالنسبة لكل الحضارات. ولا يمكن تقليص التاريخ بين الطبقة والصراعات الطبقيّة والتي تمثل مفهوماً واحداً من الصراع بين الدولة والمجتمعات. إنّ نشأة الاستغلال الرأسمالي وسلطة الدولة لها جذور عميقة في كل الحضارات البشرية، فحيثما توجد دولة، يوجد هنالك تجار ممولين وأصحاب الملكية الذين يبقون الطبقة السياسية في السلطة. ففي الشرق، لم يتم شرعنة سلطة التجار والممولين على الإطلاق. يقول أوجالان: "عبر تاريخ الحضارة، ولا سيّما في الشرق الأوسط؛ فإن هؤلاء المرابين

والمنتفعين كانوا يتواجدون دائماً على هوامش المجتمعات... وحتى أكثر السلطات استبدادية لم تجرؤ على شرعنتهم". بينما من المهم إحياء المصادر الفلسفية والثقافية الضائعة من التاريخ الفكرية للشرق الأوسط، من المهم معرفة أن الاستشراق شوّه هذه التقاليد، ولا يوجد سبيل للعودة إلى الماضي النقي المتخيّل. بالنسبة لأوجالان، فإن نضال المجتمعات المتنوعة من أجل البقاء قد وصل لنقطة الأزمة في الرأسمالية المعاصرة، التي تدمر النسيج الاجتماعي نفسه. وقد اكتسب الصراع إلحاحاً متجدداً بين الدول القوية والمجتمعات المقاومة التي تشكل وتقود كل الصراعات الأخرى، في الوقت الحاضر.

إذا افترضت بأن الليبرالية، والاشتراكية، والماركسية، والأناركية تمثل النظريات السياسية الوحيدة الممكنة، وبأن المدارس الفلسفية اليونانية-الرومانية هي المدارس الفلسفية الوحيدة التي تعتبر مصدر مخزوننا الفكري، فلا ريب أنني سوف أستنتج مما سبق بأن أوجالان يعارض الليبرالية؛ أيديولوجية الرأسمالية، ويقترّب من تركيبة الماركسية-الأناركية؛ اللتين تمثلان أيديولوجية مناهضة لليبرالية السياسية واللتين تحدتا الرأسمالية والحداثة. لا يأذن لي أوجالان؛ أنا المرأة الجنوب آسيوية، أن أخلص إلى مثل هذه الاستنتاجات الجامدة والجاهزة. فهو يقول بوضوح تام في معرض نقده للفلسفة الغربية: "يبدو أن الفكر الشرقي قد أستوعب هذه الحقيقة (وحدة الجسد والعقل) وتعبيرها في مقولة " يمكن العثور على كل شيء في الإنسان". فالطريقة التي يحيي بها الهنود بعضهم من خلال قول: "namaste"، تعبر في الحياة اليومية عن الحقيقة التي يلمح لها أوجالان. فكلمة "namaste" مشتقة من جذور اللغة السنسكريتية؛ فكلمة "namas" + "as te" تعني أحيي " ذلك " as te"، أو ببساطة أكثر، أحيي ذاك الكون المتجسد فيك. بتحية بعضنا البعض نعترف بالكون الذي يتواجد داخل كل واحد منا. وهذه مفاهيم فلسفية عميقة تتخلل مصطلحاتنا الثقافية.

كيف لي أن أنسى إشارة أوجالان إلى شهادة الحسين بن علي ومنصور الحلاج؟ كيف لي أن أتغاضى عن التأثير العميق للمفكرين أمثال شهاب الدين سهروردي على الفكر الجنوب آسيوي. فهذه الإشارات للتاريخ وللحداثة وللشرق تعني أن تستوعب التوجه الفلسفي الذي يفيد به الكتاب من أجل تهمين استنتاجات أوجالان السياسية. في الأقسام التالية، أحاول تسليط الضوء على المفاهيم التي تناولت تحليل أوجالان للحداثة، والدولة، والمجتمع. الثنائية/اللا ثنائية الفلسفية هي أحد هذه المفاهيم، والآخر هو (القومية والدولة) المتداخلين. فكلا المفهومين؛ أحدهما في الفلسفة، والآخر في نظرية السياسة، وأود القول بأن ما يتم فهمه وتناوله بطرق مختلفة بصورة



واضحة في التقاليد الفكرية الغربية والشرقية، يتم استخدامه بأوسع معنى ممكن. وأملُ عندما يتم توضيح هذه الأفكار المخفية، أن يساعد ذلك القراء في تقدير مرافعات أوجالان. كتاب أوجالان عن التأمّلات الفلسفية. بحسب ما كتب أوجالان، "لا يمكن كتابة التاريخ بدون الفلسفة".

## الثنائية واللا ثنائية

يتتبع ماركس أثر ظهور كل أنواع الثنائيات في تحليل المجتمع وصولاً إلى ظهور الرأسمالية. يجادل ماركس في كتابه "الرأسمال"، بأن المجتمعات بنيت على أساس الوحدة العضوية بين الطبيعة والناس في مجتمعات ما قبل الرأسمالية، حيث مزقت الرأسمالية هذه المجتمعات العضوية بالقوة، من خلال قطع روابط الناس مع الأرض والطبيعة. فحوّل التسليح (النشئ) علاقات الناس مع الطبيعة إلى علاقات الملكية الخاصة، والعلاقات بين الناس إلى علاقات طبقية. يجادل ماركس بأن الانفصال القسري للطبيعة عن الناس، من خلال إنتاج السلعة، يدخل كل أنواع الثنائيات للمجتمع وتشمل ثنائية الطبيعة/الثقافة، والرأسمال/العمل، والدولة/المواطن، والعام/الخاص، والاقتصاد/السياسة، والقانون الدستوري/قانون العقود، الاقتصادية/الأخلاقية وما إلى ذلك.

نقد "النهج العلمي"؛ الذي بُني على ثنائية الذات/الموضوع، والجسد/العقل، والمادية/الروحية، والعقل/المادة، هو نقطة الانطلاقة بالنسبة لأوجالان. ولهذا النهج في التفكير، جذور ضاربة في التقاليد الفلسفية اليونانية-الرومانية، قبل زمنٍ طويلٍ من صعود الرأسمالية. وفي الحقيقة إن الفئات والمفاهيم في تقاليد الفكر اليوناني-الروماني زودت الرأسمالية بالمخزون الفكري والمصادر القانونية والأيدولوجية الوضعية.

إذا توجهنا إلى الفلسفة بدلاً من علم الاجتماع أو الاقتصاد السياسي، من الممكن أن نرى بأن الثنائية هي طريقة التفكير السائدة في الفلسفة الغربية. منذ عهد طاليس المالطي (٥٤٧) قبل الميلاد، نبدأ برؤية ثنائية العقل/المادة. حيث جادل الفيلسوف البريطاني، روي بهسكا، أنه بإمكان المرء الرجوع إلى عهد أفلاطون، وإيجاد بعض الإشكاليات التي تعود إليها الفلسفة مراراً وتكراراً في الغرب. فالثنائيات مستدامة من خلال التضاد (بين الأطروحة والأطروحة المضادة)، والتي تنتج بدورها المزيد من التضاد. وتتابع دورة لا تنتهي من الصراع بين الأطروحة والأطروحة المضادة، حيث أن مع كل تركيبة يولد معها صراع جديد بين الأطروحة والأطروحة المضادة. ففي هذا النمط من التفكير الثنائي، تصبح الصراعات دائمة ولا نهائية، بل في واقع الأمر إنّ

الصراعات هي محرك الحياة نفسها. تتبنى فلسفة العلم الثنائيات ولكنها لا تستطيع تجاوزها. إن سبب نقد أوجالان للمنهج العلمي، هو بناؤه على الثنائية الفلسفية. فيكتب بهذا الصدد، "تمتد جذور الفصل بين الذات - الموضوع إلى عهد أفلاطون. ذلك أن أفلاطون، ومن خلال عالم "المثل" الشهيرة لديه، شكّل أساس كل التمييزات والفوارق على شكل ثنائيات تشتمل الانعكاسات البسيطة". الثنائية الفلسفية تركز على تحديد الاختلافات، والاعتراضات، والمواجهات، وتعمل كمصدر للصراعات. الفلسفة الغربية والعلم الوضعي يجادلان بأن النزاعات والصراعات ضرورية للحركة، والتنقل، والتطور، والتقدم، والتاريخ. ففي هذا التقليد؛ للحقائق، والظواهر التجريبية، والعالم المادي الأحقية على علم الوجود وعلم الفلك. يقول أوجالان: أسس العلم الوضعي المبني على "ثنائية الذات والموضوع ما هي إلا شرعنة للعبودية".

وعلى النقيض من ذلك، ففي التقاليد الفلسفية الشرقية، فإن طريقة التفكير السائدة هي اللا ثنائية. إن مفاهيم الوحدة في التنوع، والوحدة في الثنائية، ووحدة أشكال الحياة دفعت الفلاسفة الشرقيين إلى كشف الوحدة الكامنة وراء ذلك، والتي على ما يبدو، تحمل ظاهرتين متعارضتين معاً، ولا ينبغي لنا إنكار النزاعات والصراعات، بل يتعين علينا أيضاً أن نعترف بالوحدة الكامنة للعالم. أليس من المعجزة أنه على الرغم من كل اختلافاتنا وصراعنا، وعداءاتنا، بقي العالم مستمراً على مدى الزمن؟ وبأن الكون "يعمل بوحدة"؟ ولكن على الرغم من كل الجهود "العلمية" التي بذلتها الرأسمالية على مدى خمسمائة عام، إلا أننا لا نستطيع أن نقول إننا "غزونا" الطبيعة؟ نحن الآن فقط نكتشف أن الطبيعة "تقاوم" من أجل استرداد ذاتها والمزيد مما نراه بأن الطبيعة "تحارب" عبر الثأر البيئي. وقد طرح الفلاسفة الشرقيون الأسئلة حول استمرارية الحياة، معجزة الوحدة الكونية التي تحافظ على الكثير من التنوع والاختلاف. إن البشر فريدون لأن لديهم مواهب، وذكاء، وحس، ويتعين عليهم أن يستوعبوا المعطيات الوجودية، والعقلانية، والتجريبية. تدور أسئلة الفلسفة في الشرق حول الطبيعة الأبدية للحياة بحرف "اللام" الكبير والتي تستمر على الرغم من انتظام الموت والدمار، وتماسك المجتمع والتاريخ الذي يستمر بالرغم من التنوع، والاختلاف، والنزاع في الحياة الاجتماعية. ويقول أوجالان أيضاً: "يبدو أن الغاية الوحيدة من الحياة هي اكتشاف لغز الكون، وحل العداء الثنائي؛ الحياة والموت".

وقد سعى الفلاسفة الشرقيون إلى الحصول على إجابات لأسئلتهم من خلال علم الوجود وعلم الكون. لقد تعاملوا مع الإدراك والظاهرة التجريبية على أنها ثانوية بالنسبة للحقائق الوجودية عن الحياة، التي كانت حقائق أبدية بحسب رأيهم. فهذه الأفكار الفلسفية أدت إلى علم "اللا

ثنائيات" وهو علم اعترف بتأثير الحياة البشرية على الطبيعة وتأثير الحياة الفردية على الحياة الجمعية التشاركية (كومونالية) والحياة الذهنية للأفراد - أطلق عليها اسم أي شيء: الجمالي، أو الأخلاقي، أو العاطفي، أو النفسي، أو الروحي. فالمقصود من هذه الحقائق الكونية هو أنّ العلم الشرقي لم ينظر إلى دوره كجبهة مفتوحة لا نهاية لها للغزو البشري؛ ولكن كمنحة وهبة من الطبيعة والله، وأياً يكن ربما تمت استخدامها وتمت إغنائها من أجل استمرارية الحياة، ولكن يجب أن تكون محل ثقة دائماً بالنسبة للأجيال القادمة. إن حياة الفرد مؤقتة، لكنّ أن الحياة أبدية. كان الأفراد هم الأوصياء على الطبيعة، ويجب أن يأخذ العلم بعين الاعتبار مكان البشر في الكون عندما يقومون بتحري الطبيعة. ولا يمكن تخصيص هدية الطبيعة كهبة وتملكها باعتبارها ملكية خاصة. إن الخطوط الافتتاحية لريغ فيدا، على سبيل المثال "الحياة تعيش بالحياة" (الحياة تحيا وتعاش بالحياة)، أسس مبدأً بيئياً عميقاً؛ أي بما معناه، إذا أردنا أن تستمر الحياة، يجب علينا أن نحافظ عليها. وقد دعت اليانية (عقيدة هندية) إلى منهجية "أنيكانتافادا" أو الفلسفة متعددة الجوانب منذ القرن السابع قبل الميلاد. فتدعونا أنيكانتافادا بالابتعاد عن الجدالات الثنائية مثل "A صحيح و B خطأ" أو العكس، أسأل بدلاً من ذلك: "إذا كان A صحيحاً فإن B صحيح أيضاً، فما طبيعة الواقع التي تجعل من A رؤية ما يراه A ومن B رؤية ما يراه B". إن ثنائيات العقل - الذات، الاقتصادية - السياسية، والحياة المادية - الروحية لا تجمعها علاقات متناقضة في التقاليد الفكرية الشرقية. إن كسب العيش شرط ضروري للحياة، ولكن في الوقت نفسه فإن كسب حياة صادقة تتطلب الالتزام الروحي العميق، تماماً كما تتطلب الحياة الروحية تحقيق الاحتياجات البيولوجية (الغذاء، والملبس، والمأوى، وهكذا).

لقد أنتج الفكر اللا ثنائي نوعاً مختلفاً جداً من الفلسفة السياسية. فالسياسة عمل أخلاقي. عندما يحدث الشقاق والفتن والانقسامات، وعندما تصبح الدول والملوك مستبدين، وعندما تصبح إعادة إنتاج الظروف من أجل الحياة البشرية مستحيلة، فلا بد أن يتمرد البشر، بل إنه من واجبهم التمرد. إن هدف التمرد يتلخص في إحياء المجتمع وإعادة خلق الظروف اللازمة للحياة البشرية في الاستمرار. لقد أصر مرشدو المتصوفة وقديسو بهاكتي والسيخ على وحدة الحياة "الدنيوية" التي شكلت من قبل المجتمعات (المجتمع المدني) والدول (السلطة السياسية) والحياة "الدنيوية الأخرى" والتي تهتم بغاية البشر والمصير الإنساني والظروف الإنسانية ومكان البشرية في الكون. وكإجراءات أخلاقية، يجب أن تجمع السياسة بين بعدي الحياة؛ وهما الحياة التجريبية

والحياة الكونية معاً هنا والآن فيما نقوم به وكيف نقوم بذلك. إن الحاضر هو الموقع الذي تتعايش فيه الماضي والمستقبل.

إن الشرق لم يطوّر نظرية "الحقوق الإلهية" للملوك كمبرر أيديولوجي للسلطة أبداً. المبدأ الأول للإسلام، وهو "لا إله إلا الله"، يؤكد على مناهضة استبداد الملوك ويخضعهم لقانون أعلى. لقد أطاحت الثورات الشعبية عبر التاريخ بالملوك، فأطاحت بالدول والإمبراطوريات المهيبة. كما أن الشرق لم يضع قوانين للتوريث، مثل (نظام التوريث الكامل للابن البكر)، والذي يسمح للذكر الأكبر من الأبناء بتوريث الأرض، واستبعاد أبناء وبنات آخرين. إن أكبر ذكر هو بلا شك الأب الذي يتمتع بميزات ولكن لديه أيضاً مسؤوليات إضافية تتطلب منه الاحتفاظ بالأراضي كأمانة للأسرة الموسعة وتحمل مسؤولية كبار السن والأقارب المعدومين وأفراد المجتمع الأقل قدرة. وبالتالي فإن المؤسسة الملكية الخاصة لم تكتسب مثل هذا النوع من الاستقرار والاستمرار أبداً كما فعلت في المجتمعات الأوروبية. بالاعتماد على منظورنا لهذه التواريخ، فمن الممكن القول كيف أنّ القوة والثروة قد خلقتا دولاً وإمبراطوريات مستقرة، والطبقات الأرستقراطية في الغرب.

جاء الاستقرار السياسي على حساب التماسك الداخلي للمجتمعات. وقد استعمر وخضع الشرق وبدا بحالة فوضى مراراً وتكراراً. ولكن بقيت المجتمعات قادرة على الصمود في خضم الفوضى السياسية. وتستمر مقاومتهم الداخلية لتتحدى قوى الدول والإمبراطوريات حتى هذا اليوم.

ويخشى أوجالان أن يؤدي انتشار الحداثة إلى تفكك المجتمعات التي بقيت صامدة حتى الآن. فالحداثة كما يقول: "إنكار الحياة الاجتماعية أصبحت الحياة بلا معنى وأدت إلى انحلال وتفكك المجتمع". ومن هنا، فمن الأهمية بمكان هزيمة المقاربات الاستشراقية تجاه الثقافة والفكر في الشرق الأوسط، وبدلاً من ذلك، فإن تعافي المصادر الفلسفية والمفاهيمية هو أمرٌ ضروري، لمعالجة تفكك المجتمع، والمجتمع الذي يحدث الفوضى بالظروف الضرورية للحياة البشرية. إن كتاب أوجالان بمجمله يسعى لتجاوز المقاربات الثنائية، من خلال الابتعاد عن المفاهيم العدائية للطبيعة في مواجهة البشرية كما في العلم الليبرالي أو المجتمعات المناهضة للدول، وكما في الفكر الأناركي، أو السياسة في مواجهة الاقتصاد، وكما في الفكر الاشتراكي. بل إنها تسعى بدلاً من ذلك إلى جمع المقاربات تجاه الحداثة من خلال تبني أفكار اللا ثنائية لتتويع الأيديولوجيات المعارضة. إن هذه الاختلافات الفلسفية يجب أن تؤخذ في الحسبان من أجل تجنب التشويش في

تفكير القراء لتقييمات أوجالان مع التحفظات والمؤهلات لمختلف الحلول الحداثوية المقدمة من نظريات السياسة الغربية لمشاكل الحداثة.

## القوم (الأمة) والوطن

يقول أوجالان: "إنّ تفسير هيجل رائع ومذهلّ عندما يتطرق إلى مقولة أنّ الدولة متجسدة في شخص نابليون، إذ يقول: "إنه حالّ الإله على وجه الأرض". ويصّف نابليون بـ"الإله السائر على وجه الأرض". إن انتقاد الدولة القومية يشكل الموضوع الأساسي في الكتاب. ولكن من المؤسف أنني لا بد وأن أعتد على ترجمة الكتاب، ترجمة إنجليزية لها، بسبب جهلي باللغة التركية. ومع هذه القيود أود أن أنبه القراء إلى كلمتين مركزيتين بالنسبة للأفكار المشكلة للدولة القومية الأوروبية. إن هيجل يوصل بين مفهومي الأمة والدولة أكثر من أي فيلسوف أوروبي آخر. فكثيراً ما تترجم كلمة "قوم" بالعربية والتركية والفارسية والأردية إلى "أمة"، وتترجم كلمة "البلاد" إلى "وطن". إن كلمتي "القوم" و"الوطن" لا تتمتعان بمفهومين متماثلين من حيث المضمون، في لغات الشرق الأوسط وجنوب آسيا كما في اللغة الإنجليزية.

إن صلة الوصل بين الدولة والأمة في الحداثة الأوروبية تتطلب فهماً خاصاً للأمة والدولة القومية. يعرف قاموس أكسفورد باللغة الإنجليزية "الوطن" بأنه "الموطن الأصلي للفرد أو الشعب". ويحدد قاموس أكسفورد الانكليزي (OED) "الأمة" باعتبارها "مجموعة كبيرة من الناس اتحدت وفقاً لنسب، أو تاريخ، أو ثقافة، أو لغة مشتركة، أو يسكنون في دولة أو إقليم محدد". يتم تعريف "الدولة" على أنها "الدولة ذات السيادة، والتي يتحد أيضاً من أجلها أغلب المواطنين أو الرعايا بعوامل تحدد هوية الأمة؛ مثل اللغة أو النسب المشترك". إن "الدولة القومية" هي "دولة ذات سيادة وأغلب المواطنين أو الرعايا متحدون أيضاً. ومن المهم ملاحظة أن المناطقية المشتركة لجميع الكلمات الأربع في اللغة الانكليزية. إنّ هنالك تسلسلاً تاريخياً في التعاريف لكون الوطن مع الأرض كهوية قومية أولية، والدولة القومية، وتلاحم مع الأسرة والمجتمع المدني والمواطنة وكيان الدولة في ذروة التطور التاريخي. إن فكرة الدولة القومية تضم مفهوم المجتمعات المشكلة مع تطور مؤسسة الدولة تاريخياً باحتلال أراضي محددة. وفي أوروبا كانت الأمم والدول تتعاون وتتطور. وهذا ليس المحتوى المفاهيمي لكلمتي "القوم" و"الوطن".

وفي الشرق، فإن المجتمعات المشكلة تاريخياً ومناطقياً ليست بالضرورة أن تكون مرتبطة. فمن الممكن أن يكون لدينا "أقوام" ينتمون لنفس الوطن، بدون الأرض. وبالتساوي، بالإمكان

للعديد من المجتمعات المشكلة تاريخياً أن يكون لديهم وطن مشترك. فُقدت هذه الاختلافات المهمة للمعنى في عملية النقحرة (النقل الحرفي). لقد جلبت الحداثة معها صعوبات حقيقية في ترجمة مفاهيم "القوم" و"الوطن" إلى المفردات السياسية الحديثة للدولة القومية المصطنعة. بالاعتماد على طبيعة ونوع القومية المناهضة للاستعمار في أجزاء مختلفة من العالم الإسلامي في المملكة العربية السعودية، والمغرب، وتركيا، وإيران، وجنوب آسيا، فإن تطور كلمة "القوم" في الوقت الحالي إلى "القومية" تترجم كـ "قومية"، وكلمة "الوطن" إلى "الوطنية"، تترجم كـ "وطنية" أو المواطنة وفقاً لمسارات مختلفة تماماً، واكتسبت معاني حديثة مختلفة في مناطق مختلفة. ففي منطقة جنوب آسيا، القارة المتنوعة اشتركت العديد من الأقوام في وطن مشترك فيها لفترة طويلة من التاريخ، وقد دعا قادة حركة الغادر الراديكالية المناهضة للاستعمار إلى نموذج دستوري مختلف بشكل جذري لأزاد هندوستان "بلاد الهند الحرة" بعد نهاية الاستعمار البريطاني. فكانت رؤيتهم لـ "هند حرة" هي إنشاء كونفدرالية الأقوام في وطن مشترك. ولقد دعوا إلى "كونفدرالية (اتحاد) جمهوريات الهند"، حيث ستشكل كل قوم من هندوستان (بلاد الهند الحرة) كونفدرالية، وحيث تكون هندوستان (بلاد الهند الحرة) موطناً لكل هؤلاء الذين عاشوا هناك وجعلوا منها بيتهم. ولكن وللأسف، سادت المعاني الليبرالية الحداثية؛ الأمة والدولة، وما زالت الصراعات من أجل سيطرة الدول القومية والصراعات الدموية التي تدور حول تقسيم البلاد مستمرة. الحقيقة أن الكلمات الشائعة التي تحمل معاني مشتركة اكتسبت دلالات متنوعة في السياقات المحددة للحركات المناهضة للاستعمار، تشير إلى الحاجة إلى الحذر في طريقة فهم الأفكار الخاصة بالأمة، والدولة القومية، والمجتمعات باللغة الإنجليزية، واللغة الشرقية. وبالتساوي، ينبغي لها أن تتبناها إلى الطريقة التي نقرأ بها مقارنة أوجالان للمجتمع مع الدولة في الكتاب. وإذا فهمنا المجتمع، باعتباره قوماً والدولة باعتبارها سلطة المناطقية، فإنه من السهل فهم ما جاء في الكتاب من حجج حول المصالحة بين المجتمع والدولة.

إن الظروف التي تمت فيها كتابة الكتاب "كبيان دفاعي" في المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان وتهريبه خارجاً يعني أنه سيكون من الإجحاف أن نقرأ الكتاب وكان ذلك نتاج فيلسوف مطلع وفي بيئة مريحة لمجتمع ما. إن قيمة هذا الكتاب تكمن في أنه يعود لشخص انخرط في الصراعات الحقيقية وفي العالم الحقيقي، واستمر في عمله في ظل ظروف العزلة الفردية لمدة سبعة عشر عاماً. فرؤية عودة الفلسفة إلى السياسة تبعث على الحياة من جديد.

## الخلاصة

في أبريل ٢٠١٦، دعيت من قبل اللجنة المدنية التركية للاتحاد الأوروبي (EUTCC) لأنضم إلى وفد إيمرالي؛ جزيرة (İmralı) للقاء عضو من أمانة لجنة مناهضة التعذيب وغيرها من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة (CPT) التابعة للمجلس الأوروبي في ستراسبورغ. كانت غايتنا بسيطة. وكان المسؤولون في لجنة مناهضة التعذيب (CPT) قد زاروا عبد الله أوجالان في يناير/كانون الثاني ٢٠١٣. ولم يكن بإمكان أحد زيارة أوجالان أو رؤيته، حتى محاميه، منذ إبريل/نيسان ٢٠١٥. إن العزلة الفردية وحظر الزيارات العائلية، ولقاء المحامين انتهكت التوصيات التي قدمتها لجنة مناهضة التعذيب في ٢٠١٣. هل ستباشر لجنة مناهضة التعذيب بزيارة أخرى للتحقق من ظروف احتجاز أوجالان، والتأكد مما إذا كانت السلطات التركية قد امتثلت لتوصياتها لعام ٢٠١٣؟

كنت جالسة في قاعة الاجتماعات في ستراسبورغ، لم استطع عدم القيام بالمقارنة بين زعماء الجانبين. وكان وفد إيمرالي الدولي تحت قيادة القاضي الراحل عيسى موسى، القاضي الملهم من جنوب أفريقيا والمحامي السابق لسجين سياسي آخر مشهور هو، نيلسون مانديلا. ومن جهة أخرى، عيّنت لجنة مناهضة التعذيب أكاديمياً أوكرانياً مؤخراً رئيساً لها، في وقت كانت أوكرانيا تحت الأضواء بسبب التعذيب وإساءة المعاملة المعتقلين السياسيين على نطاق واسع. لقد تباغت الحكومة الأوكرانية بتعيين مواطنها على موقعها الرسمي على شبكة الإنترنت، حيث زعمت: "الانتخابات تعتبر دليلاً على التطور العلمي على مستوى ملحوظ للقانون الدولي في أوكرانيا بشكل عام" بينما في الوقت نفسه منع اللجنة الفرعية لمناهضة التعذيب التابعة للأمم المتحدة بزيارة؛ والتحقيق في مزاعم التعذيب وإساءة المعاملة للسجناء السياسيين في أوكرانيا. لقد تساءلتُ عما قد قام به رئيس لجنة مناهضة التعذيب فيما يتعلق بزيارة اللجنة الفرعية التابعة للأمم المتحدة لبلده. ولكن الاجتماعات من هذا النوع الذي كنت حاضرة فيها ليست لحظات لتأمل الحقيقة، والأكثر أهمية، ليست للإفصاح عما يدور بمخيلتك. وقد عرفت ذلك جيداً وقد شعرت بالارتياح بأنه كان لدينا القاضي موسى؛ ذو الكلام اللبق، والمحترم، والموقر، الناطق الرسمي صاحب المبدأ، ليتحدث بالنيابة عنا جميعاً.

وفي نهاية الاجتماع وكرد فعل ختامي قلت لمسؤولي لجنة مناهضة: "إنني أدرس القانون في الجامعة، وغالباً ما يسألني طلابي، لماذا لا تتحقق الأهداف المعلنة للقانون في الكثير من

الأحيان. أود أن تكون لدي القدرة وأخبر طلابي أن القانون يقدم العدالة والأمل إلى كثيرين".  
وتغير على الفور السلوك المهذب والهادئ لمسؤول لجنة مناهضة التعذيب. وسأل بحزم "هل  
تتحديني؟" تذكري إنه وبسبب المجلس الأوروبي، والاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان، وحظر  
عقوبة الإعدام في تركيا وكنتيجة لذلك، فإن أوجالان على قيد الحياة حتى اليوم". فبعض  
المحادثات ما تزال محفورة في ذاكرتنا، كرد فعل مسؤول لجنة مناهضة التعذيب على مداخلتي  
سوف يبقى معي لفترة طويلة. في العصور القديمة، كانت هناك بروتوكولات مفصلة؛ حيث  
توجّب على عامة الشعب اتباعها، عند سعي الجمهور لاختيار سلطان أو ملك. وكانوا يدركون  
بأن عليهم الخنوع، وأن يبايعوا، وأن يعلنوا ولاءهم بصوت عال وواضح، وأن يكونوا تابعين. إن  
الأنظمة الديمقراطية الحديثة تُعدّ بالمساواة بين الحكام والمحكومين، والشفافية والانفتاح، بل وحتى  
مساءلة الحكام على المحكومين. ولكن في الحقيقة، وعلى الرغم، فإن هذه الأمور ذاتها تجعل  
وجود البروتوكولات والممارسة ضبابية عندما يكون شخص من العامة مع هؤلاء في السلطة.  
وربما يحتاج شخص ما لكتابة كتيبٍ محفّزٍ حول كيفية التصرف في حضرة المسؤولين عندما  
تكافح من أجل حقوقك.

وفي الحقيقة، بعد مرور عامين ونصف على لقاء وفد إيمرالي الدولي مع لجنة مناهضة  
التعذيب، وبعد مضي ستة أعوام ونصف على أولى توصيات هذه اللجنة حول معاملة أوجالان  
في السجن، فهو باقٍ في العزلة الفردية دون التمكن من الوصول لمحامييه، وعائلته، أو أصدقائه.  
وفي غضون ذلك، يستمر الوضع في تركيا بالتدهور السريع وما زال عدد السجناء السياسيين في  
السجون التركية في ارتفاع مستمر كما يحدث في مختلف أنحاء العالم، في الهند، وسريلانكا،  
والفلبين، ورواندا، وأوغندا، والعديد من البلدان، ليس بالإمكان ذكر اسمائها جميعاً هنا. وقد سجن  
موميا أبو جمال منذ عام ١٩٨١ بسبب وجهات نظره بشأن السود في أميركا، والتي قضى  
معظمها في العزلة الفردية، وما زال النشطاء في عاصمة "العالم الحر"، الولايات المتحدة،  
يقدمون العرائض إلى المحاكم من أجل الحصول على رعايته الطبية. وما زال علينا أن نفهم  
نطاق القمع العالمي للمعارضة السياسية، والعدد الهائل من السجناء السياسيين في مختلف أنحاء  
العالم. ولو كانت هناك لحظة ضرورية للقيام بحملة دولية مستدامة من أجل الإفراج عن السجناء  
السياسيين في التاريخ، فإن هذه اللحظة ستكون الآن.



(١). تمت كتابة هذه المقالة في المرة الأولى كمدخل لكتاب المفكر عبدالله أوجالان؛ مانيفستو الحضارة الديمقراطية: المجلد الثاني: الرأسمالية: عصر الآلهة الغير مقنعة والملوك الرعاة.

رادها ديسوزا: كاتبة وناقدة وناشطة في مجال العدالة الاجتماعية ومحامية؛ عاشت وعملت في مهنة التدريس في جامعات في الهند (نومباي) ونيوزيلاندا؛ قبل أن تنتقل إلى بريطانيا وتقوم بتدريس القانون في جامعة ويستمنستر. عملت مع حركات حقوقية ديمقراطية ونقابات عمالية وحركات مناهضة للعولمة. ولديها العديد من الكتابات عن سلسلة من المواضيع والقضايا حول العدالة الاجتماعية والدولية.